الهوية الحضارية لتوارق الطاسيلي نازجر

بقلم أ. حفيظة لعياضي

ملخص البحث

رغم الجفاف الذي تعرفه منطقة الصحراء الوسطى، الحيز الجغرافي للتوارق في الوقت الحاضر،إلا أن العمق التاريخي للطاسيلي نازجر كجزء من هذه المنطقة وسكانه ضارب في عمق التاريخ، فالجفاف اليوم إنما كان في عصور ما قبل التاريخ بيئة جغرافية مشبعة بغطاء حيواني ونباتي زاخر نتيجة ظروف مناخية ملائمة عكستها جداريات الرسوم الصخرية التي جسدت صورا منها للحياة اليومية للإنسان الصحراوي آنذاك. هذا الأخير الذي كشفت الأنتروبولوجيا والفن الصخري عن تفاعل ثلاث عناصر اثنية عبرت عنه في القديم من خلال النوع الزنجي والمختلط والأبيض. وإذا كان التوارق يمثلون استمرارا لذلك النوع الأسود منذ ما قبل التاريخ. فإن النوعين المختلط و الأبيض يمثلان أيضا جزءا لا يتجزأ من الكسرة الإنسانية للطا سيلي نازجر والتوارق منذ ما قبل التاريخ وإلى اليوم.

الكلمات المفتاحية: الطاسيلي نازجر. التوارق. الرسوم الصخرية. الأنتروبولوجيا. البيئة الجغرافية. الزنوج. المختلطون. المتوسطيون.

الموضوع :

مما لاشك فيه أن الإنسان محرك أساسي لعجلة الحضارة. فهو الذي يصنعها ويحدد موازينها ومن ثمة يجعلها ترتقي بين الحضارات الأخرى، فحسب طاقة ودافعية هذا الإنسان ترتقي حضارته وتخلد في سلم الحضارات. أو تزول وتخمد بزوال ذلك الإنسان ومن هنا تظهر أهمية معرفة خصائص هذا الإنسان وجذوره في أي مكان. ومنطقة الطاسيلي نازجر تعتبر إحدى المناطق التي عرفت حضارة راقية تجسدت في الفن الصخري الذي يعكس الحياة الاجتماعية والدينية و الاقتصادية لصانع تلك الحضارة التي تواصلت ا إلى اليوم عبر الإنسان التارقي الذي استطاع الحفاظ على تلك الأنماط المعيشية رغم قفر الصحراء. من هنا وجب علينا الانطلاق في دراستنا

من التوارق الذين حافظوا على هذا الموروث الحضاري ومحاولة معرفة صلتهم بهؤلاء الصناع.

وإذا كان هؤلاء الصناع يعودون إلى عصور ما قبل التاريخ دون أدنى ريب، مما يعني أن المنطقة التي يسكنها التوارق كانت آهلة بالسكان منذ ذاك، فإن هدفنا هو محاولة معرفة كيفية تلاحم التركيبة البشرية من ذلك الوقت حتى اليوم. وهذا بالاعتماد على بعض الدراسات الأنتروبولوجية ومقارنتها بالرسوم الصخرية التي تبين تجذر الإنسان في المنطقة.

فالدارس للبيئة الطبيعية يلاحظ وجود المياه بأشكال أو بأخرى، وهو ما وفر غطاءا نباتيا يفسر قطعان الماشية ومختلف الحيوانات التي نلاحظها على الرسوم الصخرية، وهو ما يدفعنا إلى القول أن كل هذه العناصر البيئية من مناخ ومياه ونبات وحيوان، قد عايشها إنسان عمر هذه المنطقة وبنى عليها كيانه الحضاري عبر تاريخه الطويل.

وإن استقرار الإنسان بالطاسيلي نازجر يتبين ويتأكد من خلال مخلفاته المادية المتمثلة في تلك الأدوات العظمية واللقى الأثرية مثل الفخار، وكذلك الصناعات الحجرية التي تغطي كامل العصر الباليوليتيكي حيث نجد من الباليوليتيك الأسفل الصناعة ذات الوجهين(البيفاص)، فالأوسط، ثم العاترية من الباليوليتيك الأعلى، قبل الولوج إلى العصر الحجري الحديث مما يدل على استمرار وجود الإنسان عبر كامل هذه الحقب التي استمرت مئات آلاف السنين، ووصول الصناعة العاترية إلى المنطقة يدعم فرضية التواصل بين شمالنا وجنوبنا منذ ذاك.

هذا في الجانب المادي، أما المخلفات المعنوية التي يعكسها الفن الصخري على اختلاف مراحله، من مرحلة الجاموس التي تعتبر الأقدم، فهي تعود إلى العصر الحجري الحديث وذات اتصال بالباليوليتيك الأعلى واستمرت حتى الألف الخامس قبل الميلاد، ثم تلتها مرحلة الرؤوس المستديرة، فالمرحلة البقرية التي بدأت نحو الألف الرابع قبل الميلاد، ثم المرحلة الخيلية التي لعب فيها الليبيون دورا أساسيا وقام حولها جدل كبير بين المؤرخين بسبب مجاله هنا، لكن دائما هذا التواصل بين شمال بلادنا وجنوبه الذي تدعمه أنواع المقابر المعروفة بالبازينة المنتشرة في بلادنا شمالا وجنوبا.

هذا كله يدل أولا على وجود الإنسان في هذه المناطق التي تمتاز حاليا بصعوبة مناخها وتأقلم الإنسان مع هذه البيئة منذ عهود غابرة تمتد حتى الباليوليتيك

الأسفل إلى وقت قريب جدا، وتؤكد ثانيا التواصل بين شمال بلادنا من ناحية وجنوبه من ناحية أخرى عبر تلك الأزمنة.

فالتوزيع الجغرافي لهذه المجموعات السكانية التي أطلق عليها الأنتروبولوجيون "المجموعات الفجر بربرية" (Proto- Berbères) ، التي يمكننا ترصدها عبر الفن الصخري الذي يعود على أقل تقدير إلى النيوليتي الصحراوي، وكذا مقابرهم ذات الأشكال الأسطوانية تبين مدى تجذر الإنسان في هذه المناطق منذ عصور ما قبل التاريخ.

والصورة العامة التي يمكننا استنتاجها عن التعمير خلال عصر الهولوسين من الناحية الأنتروبولوجية توضح تعايش ثلاث مجموعات كبرى: المجموعة المشتوية التي تنسب إلى إنسان المشتى الذي عثر عليه في منطقة مشتى العربي، ومجموعة إنسان قفصة الذي يعرف بالفجر متوسطي الذي سماه قبريال كومس بالفجر بربري، فضلا عن مجموعة زنجية (Vernet, R., 1994, p. 55) . وهذا ما دلت عليه دراسة بقايا عظمية مكتشفة بالصحراء على امتداد وجود التوارق حاليا (موريطانيا، النيجر، مالي، الجزائر، ليبيا والتشاد)، وتعد منطقتي الطاسيلي نازجر وتادرارت الأكاكوس هي مركز هذا العمق.

فالمعطيات المتعلقة بدراسة العظام الإنسانية القديمة وكذا معطيات آثار ما قبل التاريخ تشير كلها إلى أن الهياكل العظمية الأقدم من ناحية التأريخ حيث ترجع إلى الألف العاشر قبل الميلاد هي من نوع أسود (Hachid, M., 2009, p. 104). وإن الحديث عن النوع الزنجي بالطاسيلي نازجر أو بجواره الشمالي أو الجنوبي يلزمنا إدراج الإنسان الزنجي الأول للمنطقة الصحراوية، وهو ما عرف بإنسان أسيلار (Assélar)، هذا الهيكل الذي لم يحدد عمره بطريقة أكيدة. ففيما يرجعه بعض المختصين إلى الباليوليتيك، يصنفه بعضهم الآخر في النيوليتي، لكن الشيء المؤكد هو أن إنسان أسيلار لم ينتم إلى الجنس الحامي مثل الهياكل الأحفورية لإفريقيا الشرقية أين يتواجد الإثيوبيون الحاليون، إنما يقدم تشابهاته مع جماعات زنجية تسكن حاليا جنوب إفريقيا المعروفة بـ البونتو (Bantous) والهوتانتو (Hottentos) . وهذا ما أكده مونود الذي اكتشف هذا الهيكل وعاينه ولاحظ درجة أحفوريته

العالية بسبب عمره الجيولوجي، حيث أرجعه إلى البلايستوسين أو الباليوليتيك الأعلى على الأقل (Monod, T. H, 1931, p. 257) .

يمكن الاستنتاج من بقايا هذه العظام وآثار ما قبل التاريخ عموما أن هذه البقايا تعود إلى الألف العاشر قبل الميلاد، إذ تم الكشف عن قبور ثلاث مراهقين تحت الصخر بـ تين هاناكاتن جنوب جانت، حافظ أحدها على بقايا جلدية زنجية، إضافة إلى شخص آخر تواجد بهذا المخبأ عمره حوالي 40 سنة من نوع زنجي، حيث كانت مدفونة بطريقة شعائرية ترجع إلى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد (Hachid, M., 2009, p. 105).

هكذا تؤكد الدراسات الأنتروبولوجية استمرارية هذه العناصر الثلاث لا خلال العصر النيوليتي فحسب، بل امتد إلى فجر التاريخ في الطاسيلي نازجر مثلما تؤكده الباحثة شاملا. إذ يمكننا أن نلاحظ بعض الخصائص المورفولوجية لهذه العناصر الثلاث (المشتوي، القفصي " المتوسطي"، والزنجي). حيث نلمس بعض الاختلافات خاصة على مستوى الوجه، مما يعكس تطورا محتملا في مورفولوجية الإنسان الذي سكن بشكل تتابعي هذه المناطق من إفريقيا، ولم يتطلب هذه التغير حسب المختصين بالضرورة تركيبا عرقيا مختلفا لأن معظم العلاقات الجمجمية بقيت بدون تغيير بين السلاسل النيوليتية والفجر تاريخية للمنطقة الصحراوية. فهذه التعديلات التي يمكن اعتبارها متطورة هي بشكل مهم تصغير للرؤوس العظمية واختفاء عدد من الخصائص مثلما تبرزها شاملا عند الفجر تاريخيين، كزوال النتوء العظمية للجمجمة وتقلص الجدران الداخلية لها، إضافة إلى تقلص الفك السفلي وتطور الذقن، وكذا انحناء الفرع المرتفع وتناقص الأضراس (Chamlat, M. C, 1968, p. 200). هذه معطيات الدراسات الأنتروبولوجية وبقايا الإنسان ويبقى الآن أن نغوص في الفن الصخري لمعرفة إن كان يؤكد هذه المعطيات.

فالفن الصخري بالطاسيلي نازجر يعد من المعطيات الأكثر أهمية لمعرفة الأنواع البشرية التي سكنت المنطقة الصحراوية في ذلك الوقت، باعتماد الملامح الإنسانية التي وجدت مرسومة أو منقوشة على الصخور. وعلى خلاف مرحلة الجاموس الأقدم التي قدمت ملامح إنسان أبيض ظهر في وقت باكر بالصحراء الوسطى عموما منذ بداية التحول إلى النيوليتي (Hachid, M., 2009, p. 107) ، فإن النوع البشري الذي ظهر في رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة التي تلتها يقدم ارتباطات زنجية. ففي

الألف العاشر قبل الميلاد وجدت مجموعات بشرية بـ تادرارت أكاكوس واحتلت أيضا الطاسيلي نازجر، ثم تحولوا بمكانهم وفي فضاء قصير يمتد إلى 800 سنة، واقتنوا الفخار حوالي سنة 9000 قبل الميلاد، إذ حققوا أروع الجداريات الرمزية مثل تلك التي عرفت بالإله الأكبر في "سفار" (Séfar) (Hachid, M., 2009, p. 106) . وما يدل على أن هذه المجموعة البشرية من نوع زنجي هو تلك الأقنعة الزنجية المصورة بـ "سفار"، خاصة منها الأشكال الإنسانية ذات الأقواس الملقاة والتي تعبر عن الفن الزنجي، إضافة إلى الأضاحي الملاحظة.

بعد الرؤوس المستديرة حيث نلاحظ الملامح الزنجية، نلاحظ على بعض الجداريات استمرار تطور هذا العنصر خلال العصر النيوليتي مع استئناس المواشي خاصة الأبقار من أين استمد هذا الفن اسمه (Hachid, M., 2001, p. 77)، وهي المرحلة التي نلاحظ فيها وجود الإنسان الأبيض في رسوم الطاسيلي الذين تعود إليهم جداريات "ايهرير" المتميزة (Camps, G., 2007, p. 73) . لكن المؤكد أيضا في هذه المرحلة (مرحلة البقريين) هو طغيان عنصر المولدين (المختلط)، فمجموعة البقريين المولدين ورغم صعوبة تحديد خصائصهم الإثنية، إلا أنه يظهر من الناحية الأنتروبولوجية أنهم نتاج اختلاط للملامح الفيزيائية نتيجة تفتح المحيط الاجتماعي والثقافي للبقريين على جيرانهم (Hachid, M., 2009, p. 111).

وبداية من الألف الثانية بدأ الجفاف يعم الصحراء شيئا فشيئا، فانعكس ذلك على التركيبة البشرية التي بدأ فيها الفجر بربريين يجتاحون الجداريات الصخرية والذين أطلق عليهم اسم الليبيين الصحراويين في الوقت الذي أطلق على سكان الشمال اسم الليبيين، وإذا عرفنا أن الليبيين هم المنحدرين من إنسان المشتى وقفصة أدركنا هذا التواصل بين المنطقتين.

إذا كان ذاك هو المستوى بين المنطقتين، فإنه على المستوى الفني نجد بأن هذه الفترة قد عرفت بالعصر الخيلي، ذلك أن الخيليين سائقي العربات يظهرون في الفن الصخري تزامنا مع تزايد الأهمية الاجتماعية وحتى الديمقراطية للشعوب المتوسطية خلال المرحلة الموافقة للنيوليتي النهائي وحتى فجر التاريخ، حيث يظهر أن سائقي العربات (الذين عرفوا بالجرامنت) شكلوا طبقة محاربة فرضت منطقها باستخدام العربة والحصان والأسلحة والمعادن.

ولمعرفة الإثنيات التي سيطرت من خلال المعطيات الأنتروبولوجية والفن الصخري، يجب العودة إلى العنصر البشري الذي عمر شمال إفريقيا عموما والصحراء على وجه الخصوص حتى نتمكن من ربط كل عنصر بما يقابله، وفي هذه الحالة يمكننا الاعتماد على الإنسان العاقل الذي عمر المغرب منذ أكثر من عشرة آلاف سنة ق.م والذي يبدو بأنه شكل سلسلة غير مستمرة تمتد إلى 500 ألف سنة. منذ الإنسان الأطلسي المكتشف بشمال إفريقيا إلى غاية إنسان جبل إرحود بالمغرب الأقصى اللذين كانا معاصرين للنياندرتاليين الأوربيين من جهة والإنسان الموستيري بالشرق الأوسط من جهة أخرى (Heim, J. L, 1979, p. 85) . من هذا المنطلق أمكن للباحثين أن يرصدوا في البداية طاسيليين متطورين نوعا ما منذ 300 ألف إلى 250 ألف سنة من نوع إنسان منتصب (Homo – Erectus). أقام قرب بحيرة تيهودين في سافانا مشجرة من نوع استوائي جاذبة للطرائد المتنوعة (Hachid, M., 2000, p. 303) . وإذا كان نوعه غير معروف فإن أبويته معتمدة على التشابه في العمق الصناعي مع الإنسان النياندرتالي. فانتشر بالصحراء باسم الإنسان العاتري. وتتابعا لهذا النوع يظهر الإنسان العاقل بالصحراء .وهذا من خلال الهياكل العظمية المكتشفة بالمنطقة التي احتوت على فصيلتين لهذا الإنسان وهما: المشتويون (نسبة إلى إنسان مشتى العربي) والفجر متوسطيين. وإلى هذين الأخيرين سنحاول معرفة الإنسان الموافق للنوع الزنجي وبالتالي إلى أجداد الإنسان التارقي اليوم باعتباره سليل النوع الزنجي بالمنطقة (Hachid, M., 2009, p. 108) .

فالمختصون في ما قبل التاريخ وعلم الإنسان اتفقوا على معرفة الإنسان العاقل بالمغرب والصحراء في شكل نوعين إنسانيين ساهما في التركيبة البشرية للمنطقة. والأقدم منهما مستخرج من صاحب الصناعة العاترية. إنه إنسان مشتى العربي المعاصر لإنسان كرومانيون الأوربي (Camps, G., 1996, p. 12) . ويلاحظ بالصحراء عموما أنه بعد ظهور إنسان مشتى العربي ومشتى أفالو بقليل ظهر إنسان أسيلار المكتشف عن طريق مونود (Furon, R., 1958, p. 30) . ولا تعرف بقايا إنسانية سابقة للنيوليتي غير العمر الأثري للزنوج بأسيلار. فالوثائق المنتقاة بمنطقة عين قزام وتامايا ميلات بالنيجر وغيرها أظهرت فحصا سطحيا لخصائص مهمة توحي بوجود الزنوج في ما قبل التاريخ الصحراوي والفن الصخري ونعني بها مرحلة الرؤوس المستديرة، وهذا ما جعل الباحث بالو يقر بأنها كافية حتى تفرض نتيجة الإرتباط

بين إنسان مشتى العربي والزنوج بالطاسيلي (Balout, L., 1954, p. 178) . هذا ويلاحظ المختصون أن تقنيات عدة بالهقار مثلما بالطاسيلي نازجر عكست الخاصية الزنجية لإنسان النيوليتي يمكن ترجمتها باتصال ناتج عن أناس مغربيين(مشتوين) ومتوسطيين من حضارة قفصية مع إنسانية زنجية هي نوعا ما مطبوعة على بعض الهياكل العظمية للحلزونيات وبمشتى العربي، ما يجعل الارتباط وثيقا بين النوع الأسود المعروف بالطاسيلي نازجر وجواره والإنسان المشتوي (Balout, L., Série culturelle) الذي أشرنا إليه أعلاه.

بالموازاة مع هذا الارتباط، فإننا نجد في النوع المختلط بالطاسيلي نازجر ومن خلال التحليل الدقيق للهياكل المكتشفة عبر الصحراء وعلى خلاف المواقع العاترية الموافقة للإنسان المشتوي، فإن التراكمات النيوليتية بدأت بتقديم بقايا إنسانية تعكس خليطا دائما بين ما يسمى إجماعا إفريقيين الموافقين للسود والمتوسطيين الذين يوافقهم البيض (Hugot, H. J, 1974, p. 90). فهؤلاء المختلطون الذين يترجمون بالحاميين أو العرق الإثيوبي بجلد أسمر مع مورفولوجية النوع الأبيض والذين يقيمون بالمناطق الشرقية لإفريقيا منذ مصر العليا إلى خط الاستواء ويتقدمون غربا حتى السودان فإن لهم أجدادا في الإنسان العاقل لنفس هذه المناطق (Alimen, H., 1955, p. 412) الذين يتبين من خلال البقايا العظمية بأن الفجر بربريين أو الفجر متوسطيين (القفصيين) سيشغلون نفس الأقاليم في نفس الوقت الذي يظهر فيه الفن الصخري من خلال مرحلة البقريين جماعات من المولدين (Hachid, M., 2001, p. 285) . وسنجد بأن هؤلاء الفجر متوسطيين القفصيين هم أيضا أصل النوع الأبيض الذي ظهر في الصحراء، حيث أنهم واصلوا توسعهم في حين أن إنسان مشتى العربي قد انغلق في ساحل المناطق الغربية بجزر الكناري وفي بعض قطاعات الجنوب الغربي الصحراوي (حاسي الأبيض). ويلاحظ أيضا أنه مع شروق فجر التاريخ ومع نهاية عصر البرونز وفي عصر الحديد، نجد أنواع الأشكال المدفونة في الجثاوي (التيميليس) والنصب الميغاليتية هم تقريبا من نوع متوسطي (Camps, G., 1996, p. 107).

ولعله من المفيد لنا في ظل تجاور هذه المجموعات الثلاث الحديث عن محرك أساسي ساهم في نزوحها إلى الصحراء الوسطى، وهو عامل الهجرة. فالأنواع البشرية التي ظهرت في الفن الصخري مثلا أمكنها التعايش أحيانا في شكل إتحاد قوي وأن

تتفرق في حالات أخرى مشيرة من دون شك إلى هجرات متتابعة استحقت التعاقب خلال ألفي سنة (4000 - 2000 سنة قبل الميلاد) الفترة الموافقة للرعاة ,Lhote (H., 1970 , p. 102) ، إذ نجد في البداية تيار الهجرة الشمالي الذي وافق انقضاء الحضارة الإبيرومغربية (الوهرانية) وانسحاب أصحابها المشتويين، وظهور الحضارة القفصية، وحيث أن صاحبها الإنسان الفجر متوسطي، سيكون أصل المعمرين الحاليين للمغرب. كما أننا نجد بأن الشعوب القفصية ستغطي المغرب من الشرق إلى الغرب بطرد أو استيعاب إنسان مشتى العربي الذي سيختفي شيئا فشيئا دون أن يترك خلفا تاريخيا له من ناحية النوع البشري باستثناء الكناريين,.R ,Vernet ,O ,.Dutour (Aumassip, G., 1994, p. 30) . فالظروف المناخية الملائمة التي عرفتها الصحراء خلال النيوليتي – حيث كانت لا تزال رطبة – جعلت الإنسان القفصي يعبر حدود المغرب الشرقية والقارية لينشر حضارته في كل البلاد المغاربية، أي المناطق التي بقيت بعيدة عن مجال الحضارة القفصية الوهرانية (الإبيرومغربية) مثل الصحراء الواسعة (Balout, L., 1954, p. 178) . وإذا عرجنا إلى الطاسيلي نازجر ورسومه الصخرية فإننا نجد بالجماعات المصورة في مرحلة البقريين ملامح وجوه متوسطية لأنها تمثل الجماعات البشرية المتوسطية الأولى التي غاصت بالصحراء. حيث يعتقد بأن الرعاة البقريين قد صعدوا انطلاقا من الصحراء المنخفضة الجزائرية – التونسية آنذاك وتقدموا إلى الكتل الصحراوية الوسطى أين دخلوا في اتصال مع خلفاء الزنوج للنيوليتي الصحراوي – السوداني (Camps,G., 2007, p. 73) .

وإذا كانت آثارهم المادية قد عكستها مخلفات صناعتهم المتمثلة في النيوليتي ذو العادات القفصية أين غطى مرحلة ممتدة من الألف السادس ق.م . إضافة إلى الفن الصخري الذي نجد من خلاله بأن الإعمار النيوليتي قد انتهى نوعا ما مع ما قبل تغلغل البيض (خلال المرحلة البقرية الموافقة للنوع المختلط أو المولدي)، حيث يتأكد ذلك مع الفن الصخري الماقبل بربري، أين توجد صور السود مصغرة بشكل كبير، فإن آثار هجرة المتوسطيين إلى الطاسيلي نازجر، نجدها تتجلى على الصعيد المعنوي ابتداء من الألف الثالث ق. م. فهذا الإعمار القفصي للصحراء سيترجم أولا عن طريق رعاة بقريين مولدين ثم فرسان خيليين بيض فيما بعد. إذ بجفاف الصحراء اندفع خلفاء الفجر متوسطيين نحو الشمال والزنوج نحو الجنوب، فاستقر السود بالواحات وعاشوا من زراعة مصغرة وانتقلوا نحو مناطق أكثر ملائمة، على غرار

الساحل الذي جذب بدوره شعوب عديدة مختلطة. ورغم قلة شيوعها فإن هذه الهجرات استطاعت أن تجعل عكسيا مناطق مركزية نحو الشمال كما تشهد على ذلك بعض رسوم الأطلس الصحراوي (جبال القصور) (Hachid, M., 2009, p. 116).

وبالموازاة مع ذلك. وانطلاقا من كرونولوجية المرحلة الفجر بربرية للصحراء الوسطى والجنوبية عموما المتحدة شيئا فشيئا. فإنه منذ الألف السابع ق. م وخلال النيوليتي الأوسط كانت هناك هجرات لشعوب رعوية قادمة من الشرق ارتكزت بالصحراء الوسطى والجنوبية. وقد كان عامل المناخ السبب الرئيسي لحركات هذه الشعوب التي مثلت الفجر بربريين البقريين الذين احتلوا الصحراء حوالي 3 آلاف سنة ق. م وتطوروا في مكانهم متحولين إلى ليبيين صحراويين حوالي منتصف الألف الثاني ق. م فاتحين أبواب التاريخ (Hachid, M., 2001, p. 285).

ويبدو أنه ولنفس الأسباب المناخية المتمثلة في جفاف الصحراء. وكذا تحت ضغط هؤلاء القادمين الجدد الذين أشرنا إليهم، النيوليتيون ذوو العادات القفصية القادمين من الشمال والنيوليتيون ذوو العادات السودانية القادمين من إفريقيا الشرقية، فإن الشعوب الليبية التي كانت قد تشكلت وجدت نفسها مجبرة على الرحيل شرقا باتجاه نهر النيل (Hugot, H. J, 1974, p, 38) . والاختلاط بأناس من حضارة مختلفة حيث وضعوا لمساتهم في الوجه المادي للحضارة المصرية تجسد في بعض اللقى الأثرية والفن الظاهر على الفخار المطبوع بالمزهريات ذات الملكية الأمراتية (حضارة نيوليتية مصرية) على صفائح من الشيست أو من العاج تمثل حيوانات ونباتات ذات نمط مطابق لذلك الخاص بالنقوش الصخرية الصحراوية من الطور الماقبل تاريخي البقري. ذلك أننا نلاحظ بأن فن الصيادين لمرحلة الجاموس بشمال إفريقيا كان سابقا لفن ما قبل السلالات المصرية الموافق له. فليس هناك شك بأنه في الأول يجب رؤية الثاني مما يؤدي بنا إلى تأكيد هذه الهجرات من الغرب نحو الشرق وأنه بالتحديد في مصر أين نجد لأول مرة في التاريخ إشارة للشعوب الليبية أجداد التوارق الحاليين (Lhote, H., 1955, p. 92). فالهجرة بكل هذه المحركات الشرقية والشمالية والجنوبية ساهمت في تلاحم التركيبة البشرية لإنسان الطاسيلي وتواصله عبر فترات التاريخ اللاحقة بما فيها فجر التاريخ والتاريخ القديم إلى التوارق اليوم.

إذ أنه وبدخول الحصان حوالي سنة 1200 ق.م إلى الصحراء الوسطى، أي مع نهاية عصور ما قبل التاريخ، حيث لوحظ عودة الجفاف إلى الصحراء واختفاء الغطاء الحيواني المتوحش حوالي منتصف الألف الثاني ق.م وحيث أن الرسوم الصخرية الأولى للعربات الطائرة المربوطة بأحصنة جعلتنا نعبر أبواب التاريخ، أين يدخل سكان الصحراء في هذه الفترة حسب المختصين ضمن مفهوم البربر القدامى لعصور فجر التاريخ والتاريخ القديم تحت تسمية الفجر بربريين، كما أسمتهم الشواهد الكتابية الأولى للمؤرخين الإغريق واللاتين، مثل كتابات هيرودوت وسترابون بالليبيين (Hachid, M., 2009, p. 100).

ومع انتهاء العصر القديم أمكن للعالم التارقي أن يأخذ مكانته المعروف بها حاليا، إذ أن التوارق تشكلوا عن طريق استقرار مجموعتين بربريتين، إحداها الشعوب الليبية النازلة من فترات ما قبل التاريخ ومن العصر القديم كما عاينا ذلك. وأما الأخرى فهي الممثلة للمرحلة القروسطوية الخاصة بالبربر الهوارةو صنهاجة المسبوقين ربما بمجموعات مصغرة من لمتة خرجت كلها من شمال شرق المغرب (طرابلس، برقة وفزان). فهذه المجموعات استقرت بالهقار والطاسيلي نازجر بعد هروبها من الغزوات العربية ثم الإسلام في ظل ما عرف بالمذهبية الخارجية، حيث وفد الهواريون والصنهاجيون للاستقرار بالطاسيلي نازجر والهقار وساهموا خلال العصر الوسيط في تجارة القوافل المابين صحراوية. وبفضل شهادات مؤرخي العصر الوسيط أمثال ابن خلدون وابن بطوطة والإدريسي وغيرهم أمكن تحديد المرحلة التي تمت فيها هذه الهجرات. إذ أنه من المرجح بأن بعض المجموعات من لمتة وفدت إلى الصحراء قبل الفتح الإسلامي وأنها كانت مرتبطة تقريبا بخطوط سير قديمة ترجع إلى الفترة البيزنطية أين توجد إشارات عنها في الكتابات اللاتينية والعربية وعلم الآثار (Hachid, M., 2009, p.117)، فهي كلها تعبر في صميمها عن استمرارية التوارق عبر العصور التاريخية وصلتهم بشمال البلاد رغم صعوبة البيئة وعواقب الدهر.

بيبليوغرافيا البحث:

أولا: المصادر

- Strabon, Géographie , T. 3, livre. 17, traduction nouvelle par Amédée Tardieu, éd. Libraire hachette et Cie, Paris, 1888

ثانيا- المؤلفات الأجنبية (الكتب):

- Alimen. H, préhistoire de l Afrique, éd. N. Boubée et Cie, Paris, 1955.
- Camps. G, les berbères de rive de la méditerranée aux marge méridional du Sahara, éd. Edisud, France, 1996.
- Camps. G, les berbères mémoire et identité, éd. Barzekhe, l'Algérie, 2007.
- Chamlat. M- C, les population anciennes du Sahara et des régions limitrophes, éd. Art et métiers graphiques, Paris, 1968.
- Furon. R, le Sahara (géologie- ressource minérale mise en valeur), éd. Payot, Paris, 1958.
- Hachid. M, les premiers berbères entre méditerranée Tassili et Nil, éd. Ina-Yas, Alger, 2001.
- Hachid. M, le Tassili des Ajjer, éd. E. D. I. F, Alger, 2000.
- Heim. J- L, 700 000 siècles d'histoire humaine, éd. Eyrolles, Paris, 1979.
- Hugot. H- J, le Sahara avant le desert, collection archéologie, éd. Des espérides, 1974..
- Lhote. H, les touaregs du Hoggar, Paris, 1955.
- Monod –TH. M, d'Algérie au Sénégal (mission Augieras- Draper 19276- 1928), éd. Société d'édition géographique, Paris, 1931.

ثالثا: الدوريات بالأجنبية (المقالات)

- Balout. L, « les hommes préhistoriques du Maghreb et du Sahara », Lybica, T. 2, éd. Travaux du laboratoire d'anthropologie- archéologie préhistorique, Alger, 1954.
- Balout. L, « le peuplement préhistorique de l'Algérie », Série culturelle, N. 50, 25 Novembre (sans date).
- Dutour. O, Vernet. R, Aumassip. G, « le peuplement préhistorique du Sahara », Milieux. Hommes et techniques du Sahara préhistorique, éd. l'Harmattan, Paris, 1994.
- Hachid. M, « l'art rupestre du Tassili n'Ajjer », Revues. Les racines, N. 1, éd. office du parc national du Tassili, l'Algérie, Décembre. 2009.
- Lhote. H, « le peuplement du Sahara néolithique d'après l'interprétation des gravures et des peintures », Journal de la société des africanistes, T. XL / fascicule. 2, éd. au siège de la société Musée de l'homme, Paris, 1970.
- Vernet. R, Onrubia- Pintado. J, « la place des ancêtres des berbères dans le Sahara néolithique », Milieux. Hommes et technique du Sahara préhistorique, Paris, 1994.